

تعد العلاقات مع كبادوكيا في التاريخ الآشوري مظهراً حضارياً نمتلك معظم التفاصيل الوافية عنه بالنسبة لبداية الألف الثاني ق.م، ولكن حدثت أشياء أخرى قدر لها أن تكون ذات تأثيرات بالغة على آشور، إذ ولمدة قرنين بدأ الشعب السامي المعروف باسم العموريين بالتحرك خارجين من الصحراء العربية السورية والإقامة في الأراضي الخصبة حولها، وكان ضغطهم هذا سبباً وعاملاً من عوامل انهيار أسرة أور الثالثة، حيث بدأت مجموعات من العموريين بالاستقرار على طول نهر الفرات في بابل وشكلت أسراً محلية، وربما كان هجوم أيريشوم وغزوه لبابل سبباً عن أرباك وتشويش الحركة التجارية هناك من قبل العموريين، وأن إعلان والده ايلوشوما عن عزمه على إقامة وتأمين الحرية لشعب أكاد ربما يعكس تبريراً لتلك التدخلات.

ومع أن آشور التي كانت تحجبها مدن مثل ماري الواقعة في أواسط الفرات لم تتأثر بنفس الدرجة التي تأثرت بها بابل من الموجات الأولى للضغوط العمورية، إلا أن آشور لم تستطع أن تبقى معزولة بشكل غير محدود، ففي أواسط منطقة الفرات الأوسط قام زعيم إحدى القبائل العمورية المدعو ايلوكبكي (وقد ذكر اسمه في قائمة ملوك آشور) بإنشاء مملكة صغيرة لنفسه، وكان له ابن وهو شمسي أداد الذي قضى بعض الوقت في بابل، إذ من المحتمل أنه قد أرسل إلى هناك ليكون تابعاً لملك آشور في ذلك الوقت ولمعالجة التهديدات ضد الأمن الآشوري، ولكن شمسي أداد عاد من بابل مملوءاً بالطموح.

وقد استولى في أول الأمر على إحدى القلاع المدعوة (ايكالامو) المشرفة على المنطقة إلى الغرب من دجلة، وبعد ذلك وبعد ثلاث سنوات نصَّبَهُ آشور ملكاً عليها، فبادر إلى توسيع سيطرته حتى منتصف منطقة الفرات الوسطى التي نشأ فيها، وهناك كانت المدينة والمملكة الرئيسية ماري التي نجح في ضمِّها إليه. وهنا نجد لدينا بعض الصعوبات في الحصول على المعلومات اعتباراً من هذه النقطة ولمدة جيل من الأجيال، ويأتي قسم قليل من هذه المصاعب من النقوش الرسمية التي تركها (شمسي أداد) وهي الكميات الكبيرة من المحفوظات التي وجدت في ماري.

وكان موقع ماري موقِعاً استراتيجياً في منتصف الفرات وكان لها شبكات من العلاقات مع بابل وسورية وتعكس المحفوظات المحتوية عشرات الألوف من الوثائق هذا الشيء، وقد أقام شمسي أداد مع أنه كان يعد آشور عاصمته الرسمية وكان يجبي الأتاوات والخراج منها، أقام في (شوبات نليل) الواقعة إلى الشمال الغربي حيث كان قريباً من التيارات السياسية في سورية، ولأجل السيطرة على منطقة الدجلة الأوسط والفرات الأوسط فقد نصَّب ابنه الأكبر كملك تابع في (ايكالاتو) والابن الأصغر (ياسماخ أداد) في ماري، وتقدّم المراسلات التي وجدت في ماري والتي جرت بين ياسماخ أداد ووالده وأخيه وبعض الأشخاص الآخرين، تفاصيل حول الحوادث في ذلك الزمن، وهناك مجموعة صغيرة من النصوص تعود إلى نفس الفترة وجدت في موقع (شمشارا) قرب رانيا في كردستان العراقية، تظهر أن مملكة شمسي أداد قد امتدت حتى زاغروس شرقاً.

وحتى هذا الزمن ليس لدينا أي شواهد تشير إلى أن المدن الثلاث الرئيسية في آشور ونيوى وأربيل كانت متحدة في مملكة واحدة، ولكن هذا الوضع قد تغير بمجيء شمسي أداد وأصبحت هذه المدن جزءاً من مملكة واحدة، إذ نجد أن الملك كان يجدد بناء أحد المعابد في نيوى ويسجل انتصاراته على جميع المدن المحصنة في أرض أربيل، وقد سيطر أيضاً على منطقة (أرانجا) (كركوك الحديثة) بحيث أصبحت جميع مناطق آشور قاطبة تحت حكمه مملكة واحدة، وقد امتدت

المنطقة التي كان يسيطر عليها شمسي أداد وأولاده من الفرات ومن نهر (أضاييم) إلى مشارف هضبة الأناضول عبارة عن ثلاثمائة ميل من كل جهة، وقد امتدت سيطرته دبلوماسياً إلى أبعد من ذلك فقد لمس التجار الآشوريون في مستعمرة كبادوكيا نشاطاً متجدداً، وقد ادَّعى شمسي أداد أنه وضع أنصابه الحجرية على شواطئ البحر الأبيض المتوسط، ومن الواضح أن الحكام العموريين المعاصرين عدوا شمسي أداد القوة العظمى.

كيف نجح شمسي أداد في جعل آشور أبرز وأعظم مملكة في عصره؟ هناك عاملان ينبغي أن ننظر إليهما بالحسبان وهما كفاءته الإدارية ومهارته السياسية، وأن مراسلاته الواسعة تظهر أن شمسي أداد كان يعطي عيناً ساهرة بالنسبة لهذه الأشياء ولجميع الأشياء حوله صغيرها وكبيرها التي لها علاقة بتسيير شؤون مملكته بكفاءة (ويمكن أن ينطبق هذا القول عن معاصر شمسي أداد الناجح وهو (حمورابي) في بابل فقد أنشأ شبكة من الموظفين الأكفاء.

فهو يقول: ((إنني عيّنتُ حكامي في كل مكان)) وتحت الحكام كانت هناك سلسلة من الإداريين وناقلي الأخبار وموظفي الإحصاء الخ..

وقد نجح شمسي أداد بالتحالف إما عن طريق المعاهدات أو بواسطة المصاهرة مع أمراء حاكمين آخرين ولاسيما في سورية، ولكن كان جزء من نجاح شمسي أداد دون شك استخدامه القوة العسكرية.

وبموازاة إدعائه أنه قد عين الحكام في كل مكان، فإنه قد وضع الحاميات العسكرية في كل مكان أيضاً، ولدعم الحاميات الدائمة أرسلت الفرق العسكرية في حملات خاصة، وقد اشتملت هذه الحملات في إحدى الحالات على ستين ألفاً، وأما فنون الحصار التي بلغ الآشوريون الشأو الأعظم فيها منذ الألف الأول ق.م، فقد وصلت درجة عالية من الكفاءة بما فيها من استعمال آلات الحصار.

ولكن امتدادات مملكة شمسي أداد قد نقصت وتقهقرت بعد موته بالسرعة التي وصلتها في حياته، وتذكر قائمة الملوك الآشوريين أن ابنه (شمسي راكان)

قد حكم مدة أربعين عاماً، ولكن حكمه كان محصوراً بآشور وفي المنطقة المحيطة بآشور ونيوى وأربيل وأرانجا (كركوك).

وهناك شك حول حكمه المدينة الأخيرة، أما ممتلكات آشور الأوسع بمحاذاة الفرات الأوسط وشمال شرقي سورية وحتى مسكن والده المفضل في (شويات اينليل) كل هذه المواقع قد سُلبت من سيطرته.

وبعد ذلك النور الذي سطع في فترة شمسي أداد وأولاده نجد أنفسنا نتقل إلى أقاليم مظلمة من التاريخ، لأنه وفي القرون الثلاثة التالية فإن النقوش ومحفوظات الملوك الآشوريين أصبحت قليلة ونادرة وأحياناً انقطعت، مع أن قائمة الملوك الآشوريين تدل على تتابع غير منقطع للملوك الآشوريين، فقد أصبحت سلطة ملك آشور لا تتجاوز مدينته ولم تتجاوز منطقة شمال نيوى وأربيل.

عندما ركزنا على أعمال شمسي أداد الباهرة لم نُعط اهتماماً كبيراً بالنسبة للحالة العرقية في المنطقة الواقعة تحت حكمه ما عدا ذكر العموريين، والحقيقة كانت هناك حركات عرقية جارية وقد قُدر لها أن تكون ذات نتائج بالغة بالنسبة لآشور، وإن أهم مجموعة في هذا الصدد هم الشعب المدعو الحوريون، ولقد تكلم هؤلاء لغة مختلفة عن كلا السومريين والأكاديين بحيث إن أسماء الحوريين الشخصية مميزة وتؤلف علامات واضحة تدل على الأشخاص من أصل حوري، وهذه الشواهد تشير إلى وجود الحوريين في جنوب ما بين النهرين منذ فترة (أكاد) وفي حوالي نهاية تلك الفترة حيث نشأت دول صغيرة قصيرة العمر في منطقة الخابور يحكمها حكام يحملون أسماء حورية، وسرعان ما وجدت عدة أسماء حورية في فترة الأسرة الثالثة في أور في المنطقة شمال نهر ديبالا.

وهناك دلالات تشير بأن هؤلاء الحوريين قد أتوا من الشمال إلى منطقة ما بين النهرين، وربما من مرتفعات أرمينيا، ويناقد بعض مناقضي هذا الرأي بقولهم إن الحوريين كانوا هم سكان آشور الأصليين قد دُفعوا وأخرجوا على أيدي

الساميين المهاجرين إلى سفوح التلال في الألف الثالث ق.م، ولكن هذه النظرية كانت مؤسسة على تحاليل غامضة لأسماء الأمكنة القديمة التي تعد حورية.

أصبح الحوريون واسعوا الانتشار في شمال منطقة ما بين النهرين في زمن شمسي أداد ومع مناطق إلى الغرب من (طور عابدين) التي حكمها أمراء الحوريين، وكان هناك عنصر قوي من عناصر الحوريين في زاغروس أيضاً، وقد تزوج أحد أحفاد شمسي أداد سيدة أو أميرة من إحدى القبائل القوية هناك التي كان اسمها يدل أنها حورية، وفي سورية أصبح الحوريون عنصراً قوياً في الألاخ وهي مدينة واقعة على نهر العاصي معروفة من كمية من الألواح الفخارية التي وجدت هناك.

ويظهر أن حركتين عرقيتين كانتا تتحركان في الوقت نفسه، الحوريون الذين أتوا إلى منطقة ما بين النهرين وسورية من الشمال الشرقي، في نفس الوقت الذي كان العموريون يتحركون آتئين من الصحراء السورية مع بعض التجاوزات التي تظهر أن الفرات قد شكل حداً فاصلاً بينهم، وفي منطقة أواسط الفرات كان العموريون ذوي السيادة ولكن إذا اتجهنا شمالاً نجد الحوريين قد أصبحوا العنصر المهم، وهناك تطورت في منطقة الخابور العليا السلطة الحورية، بينما إذا اتجهنا جنوباً كان العموريون ذوي نفوذ مرموق على بابل، أما في آشور ففي أثناء منتصف الألف الثاني فقد كان الحوريون هم المتفوقون ثقافياً وسياسياً إلى حد ما.

لم يكن الحوريون هم الشعب الوحيد الذين انطلقوا كقوة سياسية وثقافية جديدة خلال الألف الثاني، ففي الأناضول المجاورة لأراضي الحوريين كان هناك الحثيون وهم مجموعة من الشعوب الذين يتكلمون اللغات الهندو أوروبية، ولقد دخلوا الأناضول من الشمال فيما وراء البحر الأسود في وقت لا يبتعد عن بداية الألف الثاني، وقد أسس هؤلاء مملكة في منطقة نهر (هاليس) (كوزول إيرماك) وانتشروا بالتدريج في نفوذهم جنوباً حتى الفرات وشمال سورية وكليسيا، وهذا سبب احتكاكهم بالمناطق التي يسيطر عليها الحوريون ثقافياً وسياسياً، وبذلك نشأت منافسات وحزازات ثقافية متبادلة ما بين الحثيين والحوريين.

في منتصف القرن السابع عشر أصبح الحوريون منظمين تنظيمياً كافياً بحيث استطاعوا مهاجمة مملكة الحثيين إلى الشمال الغربي من مملكتهم، وهناك نقش يعود إلى أحد ملوك الحثيين يسجّل وجود هجوم خطير على مملكته من قبل شعب يدعى الحوريون (الهاني جالبات) وسوف نقابل هذه الأسماء فيما بعد.

وهناك نص آخر حول الأنشطة الحربية في تلك الفترة يذكر أسماء أربعة ملوك من ملوك شعب الحوريين، وهذا يظهر أنهم كانوا لا يزالون اتحاداً وليس مملكة موحدة، وبعد عام (١٥٥٠) بقليل ظهرت مملكة مؤسسة على قواعد حورية تدعى: ميتاني إلى الشرق من نهر الفرات، وقد وجدت دويلات أخرى مشابهة في سورية وكليسيا وشمال ميتاني، وكانت ميتاني أقوى الممالك الحورية وقد ناورت وأحياناً حاربت كلاً من الحثيين والمصريين وهما القوتان الرئيسيتان في منتصف الألف الثاني ق.م.

وفي حوالي عام (١٤٧٢) اصطدم أحد ملوك ميتاني مع تحتتمس الثالث ملك مصر الذي ادعى أنه قد سيطر على سورية واخترق بجيشه الحدود حتى نهر الفرات، وقد كان هذا الردع الميتاني ما رحّبت به الدويلات الأخرى في الشرق الأدنى، وأرسلت آشور بالإضافة إلى بابل والحثيين هدايا وتهنئة لتحتتمس عدها المصريون لزيادة نفوذهم وهيبتهم عبارة عن جزية.

لدينا تفاصيل قليلة حول ظهور ميتاني ولا يمكن معرفة ذلك بالضبط إلا بعد اكتشاف المحفوظات الميتانية الرئيسية، ولا نعلم إذا كان هناك محفوظات لدى الميتانيين إذ أشك في وجودها، فقد وجدت بضعة رسائل من ميتاني بشكل ألواح من الفخار منقوشة بالخط المسماري في تل العمارنة في مصر، وهناك دلالات على وجود مراسلات بين ميتاني والدول المجاورة، ولقد ملئت الفجوة في الشواهد بشكل جيد لمجرد التخمين...

وهناك إحدى الفرضيات، التي رُفضت، مع أنها ظلت موثوقة لعدة سنوات، وهي تصف ميتاني بأنها عبارة عن تكافل من الأجناس.

وطبقاً لهذه الفرضية فإن دولة ميتاني ظهرت عندما تركت الأرسقراطية الآرية (الهندو إيرانية) التي كانت تمتلك الخيول والعربات، وذهبت وهي من الهجرات الآرية الرئيسية من جنوب شرقي آسيا إلى الهند في أوائل الألف الثاني ق.م، وقد فرضت نفسها على المجموعات الحورية.

ولكن أحد العلماء الروس ذي البصيرة النيرة نقض هذه النظرية نهائياً، وقد أشار هذا العالم أن الأساس الرئيسي لهذه النظرية هو وجود بعض الرقم الهندو أوروبية خمس مرات في بعض النصوص التي تعد بعشرات الألوف، ووجود اصطلاحين أو ثلاثة تتعلق بتمرينات الخيول، ووجود أربعة أسماء آلهة هندو أوروبية بشكل حوري، ونحو عشرين من الأسماء الشخصية من أصول غير معروفة التي تظهر بشكل سطحي كما لو أنها كانت هندو إيرانية.

إن الأهمية الرئيسية بالنسبة للتاريخ الآشوري الذي يصف مملكة ميتاني الحورية هي أنها حالما توسعت بدأت بالتحرك شرقاً إلى أراضٍ ما نفهم عادة بأنها أراضٍ آشور التي حولوها إلى أراضٍ تابعة لهم، ولكن قسماً من آشور كان ما يزال مستقلاً في النصف الثاني من القرن السادس عشر، نظراً لأنه وبعد عام (١٥٥٠) - إذا كنا نستطيع الوثوق بأي تاريخ- فإن أحد ملوك آشور الصغار الأهمية استطاع عقد معاهدة حدودية مع بابل، وهناك دلالة أخرى تدل على استمرار استقلال آشور، وهي الهدية التي أرسلتها آشور إلى مصر بعد الصدام الذي حدث بين مصر وميتاني عام (١٤٧٢) وظهر أنه بعد هذا التاريخ بزمن قصير استطاع الملك الميتاني زواستر ضم آشور إلى حكمه.

لقد سُجِّل أن زواستر نهب من آشور باباً مرصعاً بالفضة والذهب زين به قصره في (وشوكاني) وكان هذا قد حدث أثناء غارة خاطفة، ولكن هناك شواهد تدل على وجود ميتاني في آشور فترة طويلة، إذ أصبح ملوك آشور الآن تابعين لميتاني ولم يكن حكمهم إلا بالاسم فحسب، وتذكر النصوص الشرعية التي وجدت في

آشور ابتداءً من القرن الخامس عشر وجود موظفين بأسماء حورية، وترك موظفان أنصاباً تدل أن أسلافهم قد خدموا ملك (هاني جالبات) وهو اسم آخر لميتاني، ويذكر الملك الآشوري (آشورا بالبيت) في عام (١٣٦٠) أن ملك (هاني جالبات) كان أحد أسلافه قبل عدة أجيال، ولقد امتدت سيطرة ميتاني عبر بلاد آشور حتى (زاغروس) وإلى الجنوب الشرقي لتشمل منطقة كركوك.

وتحت سيادة ميتاني أصبحت آشور ذات وضع ثانوي حيث إنه ولمدة حكم ستة ملوك حتى عام (١٤٢٠) لم يلاحظ وجود أي نقوش ملكية أبداً، وقد وجدت هذه الشواهد عن أحوال آشور في تلك الفترة من محفوظات وجدت في بعض البلدات في منطقة كركوك، ومعظمها من موقع يدعى (نوزي) وهذه الوثائق تعطينا إدراكاً ممتعاً بالنسبة للحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة (نوزي) ويظهر أن نفوذ الثقافة الحورية كان قوياً جداً، وليس هناك من شيء يوحي أن منطقة نوزي التي كانت هامشية سياسياً وثقافياً بالنسبة لآشور قد أصبحت ذات أهمية عظيمة أكثر من ذي قبل، وأن التأكيد الظاهر على هذه المنطقة في ذلك الوقت ما هو إلا مجرد حادث سببته الاكتشافات الأثرية.

وهناك شيء واحد تظهره لنا وثائق (نوزي) حول آشور بصورة عامة أنه وأثناء الحكم والسيطرة الميتانية، لم تكن آشور مملكة واحدة حتى وعندما كانت تابعة لميتاني، إذ إن منطقة (نوزي) المؤسسة على أرانجا (كركوك) كانت تعامل بالتأكيد كمملكة ثانوية لها ملكها الضعيف الخاص بها وهي منفصلة عن آشور إدارياً، وهناك ثلاثة ملوك من (أرانجا) معروفون بأسمائهم، وكان هناك حضور ميتاني قوي هناك، وقد وجد كثير من الأشخاص هناك يحملون أسماء (هنيجالباتية) أي: (ميتانية) وكان بعضهم مقيماً هناك ويستلمون إعاشات غذائية، والآخرون مستقرون بصورة مؤقتة كموظفين أو مراسلين، وأن التنويه بالعربات الحربية الهنيجالباتية يبرهن على وجود وحدات عسكرية ميتانية، وكانت مراكز آشور وأربيل ونيوى مناطق إدارية منفصلة، مع أن الشواهد على ذلك لم تظهر بعد.

عند نهاية القرن الخامس عشر ظهرت دلالات عن بداية انتعاش آشور، فقد بدأ إعادة بناء أسوار آشور، نظراً لأن وجود أسوار في أي عاصمة قديمة في الشرق الأدنى كان دلالة على استقلالها، لاسيما وأنه قد عقدت معاهدة حدودية بين آشور وبابل، ونحو عام ١٤٠٠ ق.م أظهر أحد ملوك آشور أنه رجل الموقف عندما تراسل مع ملك مصر واستحق هدية مقدارها عشرون مثقالاً من الذهب، تلك الحقيقة التي ذكرها خليفته الثاني آشور أباليت الأول (١٣٦٥ - ١٣٣٠).

ويخبرنا أحد ملوك ميتاني عن الظروف ولكن ليس في السنة ذاتها التي تخلصت بها سورية من السيطرة الميتانية، وتأتي هذه المعلومات من معاهدة (مؤلفة من نسختين عقدت بين ميتاني والحثيين، ومع هذا الوضع وجدت مملكة حورية ثانية بجانب ميتاني تعرف باسم حوري مع وجود المنافسة بين حاكمي المملكتين الأقرباء. وعندما ظهر الاحتكاك الأوسع بين ميتاني والحثيين سمح الموقف الموالي للحثيين في حوري أن يهاجم هؤلاء ميتاني، وتبع ذلك حدوث أزمة في ميتاني وفي آشور ومملكة أخرى، وقد انتهز هذه الفرصة (الشي) (ربما في طور عابدين) ليستولي على أراضي ميتاني، ولم يذكر اسم الملك الآشوري ذي العلاقة ولكن التواريخ تشير أنه والد (آشور أباليت) المدعو (ايريبا أداد) ١٣٩٢ - ١٣٦٦.

وعندما كتب آشور أباليت رسالة إلى ملك مصر بعد عام ١٣٦٥ فقد كان قد تحرر من آخر مظهر من مظاهر تابعيته للسيطرة الميتانية، وشعر بأنه قادر على التكلم معه كالنِدِّ للندِّ وخاطبه باسم أخي، ولم يُقبل استقلال آشور الجديد من قبل الجميع، فقد شكوا ملك بابل إلى ملك مصر ضد الآشوريين عندما ادعى أن هؤلاء من أتباعه، فقد قال في الرسالة إلى ملك مصر:

«لماذا أتى هؤلاء الآشوريون الذين هم أتباعي إلى بلادك؟ فإذا كنت تحبني لا تدعهم يحصلون على ما يريدون بل أرجعهم فارغي اليد».

ولكن إدعاء ملك بابل بأن الآشوريين أتباعه لم يكن سوى انعكاس لبداية طموح لا طاقة له به، وهو أن يعيد السيطرة على جيرانه الشماليين نظراً لأن حكم الميتانيين الآشوريين قد انتهى.

لقد بدأت آشور تزيد من أهميتها الدولية أثناء حكم (آشور أباليت) فنحن نعلم أنه كان لديه روابط أسرية مع بابل، وكان قادتها راغبين في التدخل في قضايا وراثة العرش هناك، وهناك نص يدل ويسجل المواجهة بين بابل وآشور يخبرنا مايلي:

فر زمن آشور أباليت ملك آشور فجردت جنود كاباتيت ضد كاراهار داشن ملك كاردونيش (بابل) وهو ابن السيدة (موباليتات شيروا) وهي ابنة آشور أباليت وقتلوه.. وقد ذهب آشور أباليت إلى كاردونيش لينتقم لحفيده ولتصيب كوريجالزو الأصغر ملكاً.

وكما ذكرنا آنفاً كان آشور أباليت يتراسل مع ملك مصر ولدينا رسالتان من رسائله وإحدهما تستحق أن ننقلها للقارئ كاملة وهي:

((إلى ملك مصر، هكذا يقول ملك آشور، أتمنى أن تكون بصحة جيدة، وكذلك أهلك وبلادك وعرباتك الحربية وجنودك لقد أرسلت مبعوثي إليك ليراك ويرى بلادك، لقد بدأت بالاتصال بك اليوم نظراً لأنه وحتى هذا الزمن لم يتصل أحد من أجدادي بكم، ولقد أرسلت لك عربة حربية جميلة وجوهرة من اللازورد الحقيقي، لا تؤخر رسولي الذي أرسلته لرؤيتك فهو سوف يراك ويعود، دعه يطلع على أحوالك وبلادك وبعدها دعه يعود)).

نحن نرى أن الملك يؤكد أن المبعوث لا ينبغي أن يبقى في مصر بل ليعود إلى آشور فوراً بعد أن يطلع على مصر والملك المصري، ومن الواضح أن آشور أباليت لم يفكر أن يصبح تابعاً لمصر بل كان ينوي أن يستفيد من هذه الروابط مع مصر ما هو من مصلحة آشور..

إن الهدايا التي أرسلها آشور أباليت تستحق التعليق وهي تدعى سولمانو **Sulmanu** وهذا معناه هدايا للمبادرة بصنع علاقات ودية مع توقع شيء مقابل ذلك، وهذا هو السولمانو **Sulmanu**، وهي مقدمة لعلاقات تجارية فضلاً عن علاقات سياسية، وهذا ينطبق على تقاليد آشور بالنسبة للتجارة العالمية المتمثلة بالعلاقات القديمة مع الأناضول الوسطى.

لقد افتتحت الصلات المصرية المرتقبة، وهذا يظهر من الرسالة الثانية التي وجدت في المحفوظات المصرية من آشور أباليت، وهي تشير إلى أن الرسل من مصر إلى آشور قد قوبلوا بالحفاوة البالغة في البلاط الآشوري، وهكذا بدأت التجارة، أو كانت على وشك أن تبدأ نظراً لأن آشور أباليت قد أرسلت هدايا أخرى وطلب كمية مناسبة من الذهب مقابل ذلك لأجل زخرفة القصر الذي كان يبنيه، ولقد أصرَّ على طلب الذهب وأكد أن الكمية التي أرسلها لم تكن أقل من الكمية التي أرسلت إلى بعض الملوك القدامى فحسب بل إنها كانت غير كافية لتغطية المصاريف للحفاظ على العلاقات المصرية، وهذه الإشارة الواضحة الصريحة لمظاهر الربح والخسارة من الواضح أنها سوف تثير العناصر التجارية في هذه المفاوضات.

إن آشور أباليت هو الذي تعود إليه بداية الإمبراطورية الآشورية، إلا أن آشور نفسها هي التي مارست النقض والإبطال، ولكن هذه لم تقدم أي كبح دائم لعملية قيامها بتوسعها في الشرق الأدنى، وكان للدول الأخرى طريقتها بالتوسع ولكن لم يكن هناك أي دولة تستطيع أن تباري آشور في طلب السيادة لمدة قرون على أراضٍ فيما وراء حدودها الطبيعية.

لم يعطنا آشور أباليت نفسه أي تفاصيل عن حملاته العسكرية، ولكننا نعلم عن مثل هذه الحملات من بعض التلميحات من قِبَل ذريته، وهذه التلميحات تدل على أنه قد بادر بالهجوم شمالاً، وهذا كان طبيعياً زمن ملك نشيط في آشور

التي قد تحررت حديثاً من الحكم الأجنبي، وكانت إحدى مشكلات آشور المناطق الجبلية فيما وراء نينوى وأربيل إلى الشمال والشرق، حيث كان الرجال الجيليون يقومون بغارات على سهول آشور، وكانت هذه المناطق مهمة لكونها مصادر للحصول على الخامات المعدنية والخشب والحجارة نصف الكريمة، وكانت تحتوي على مناطق مهمة لتربية الخيول، وحالما بدأ الملوك الآشوريون في كتابة النقوش التي تعطي أوصافاً مفصلة لحملاتهم أصبحت النشاطات العسكرية في الجبال الشمالية والشرقية موضوعاً كثير الحدوث، ولسوء الحظ فإن المناطق ذات العلاقة، مثل المناطق الجبلية في العراق وسورية وتركيا وإيران، كانت لا تزال حساسة، وهذا يفرض إعادة إمكان عمل مسح لهذه المناطق مما ترك شكوكاً لا بأس بها حول تحديد الأمكنة المذكورة في النقوش الآشورية.

ولقد قال الحفيد الأكبر لآشور أباليت عنه إنه كان حريصاً على تأمين الأمن والسلامة لنفسه في أي مناطق بعيدة حتى حدود الجبال، وقد عزا لنفسه النجاح ضد القوى القاطنة في الأراضي الواسعة التي يسكنها (الساباريان) وبلاد تدعى (موسري). وإن كلمة السباريان هي كلمة جالبة للمشكلات لها عدة معانٍ مختلفة في فترات متعددة، إن عنصرها الدائم أنها تدل دائماً على شعوب تسكن في شمال المتكلم (وهذه من الممكن أن تعني كلمة تعود إلى عصر ما قبل السومريين تعني الشماليين).

وهذا الاستعمال يعني أن كلمة أرض عند الساباريان في ذلك الوقت تشير إلى مكان يقع إلى الشمال من الموصل، وهناك اختلاف حول المكان الدقيق (المصري) ولكن هاتين الكلمتين ربما تدلان على أن آشور أباليت اندفع إلى الشمال الغربي للسيطرة على (طور عابدين) وهضبتها، ونحن نسمع بعد ذلك الشيء الكثير عن هذه المنطقة التي تعرف طبقاً للمصادر الآشورية باسم كاشياري.

وعندما قدّمنا النصف الثاني للقرن الرابع عشر وقلنا: إنه يؤلف بداية عصر جديد بالنسبة لآشور، كانت هذه التقدمة وسيلة حديثة لفرز التاريخ وتقسيمه إلى شرائح من الممكن التعامل معها، ولقد تعامل الآشوريون وملوكهم مع هذه

الحقيقة بنفس الطريقة وهي حقيقة تعكسها الألقاب الملكية، ومع أننا كنا نتكلم عن الملوك الآشوريين ابتداء من زمن الحكام الوطنيين في الألف الثالث، وجدنا أن حاكماً واحداً لآشور قد اتخذ لقب ملك خلال هذه النقوش الرسمية قبل القرن الرابع عشر، ويكمن تحت هذا سبب من الممكن أن ندعوه لاهوتي أو ديني.. إذ إنه من وجهة الشخص الآشوري المتدين فقد كان الإله آشور هو الملك، أما الحاكم فهو ممثله من البشر.

أما الأبنية الملكية والنقوش الكريمة فقد كانت أصلاً وثائق دينية يقصد بها أن تخلد أعمال الحاكم التقي لتلفت انتباه الإله، وهكذا كان من المناسب أن نقول: إنه وفي مثل هذه الوثائق كان الملك يشير لنفسه بأسماء مثل الحاكم، أو النائب، أو رئيس العمال أو الخدم، أو القاضي الأعلى، ولقد ظهرت بدعة في النقوش الرسمية المتأخرة (لأريك دن ايلي) (١٣١٩ - ١٣٠٨) الذي تجاسر وقدم لنفسه لقب الملك القوي، ملك آشور، وهذا تغيير يوحي بقرار حازم لتقديم اصطلاحات طنانية، فمن جهة حقاً لقد لُقِبَ (أريك دن ايلي) من قبل جده آشور أباليت الذي دعا نفسه ملك آشور، الملك العظيم وذلك في مراسلاته مع ملك مصر وسمى نفسه ملك آشور وذلك في ختمه، ولم يكن نفس هذه الألقاب لتستعمل في النقوش الرسمية المقصود بها اطلاع الآلهة.

ولقد تجاوز (حدد نيراري) وهو ابن (أريك دن ايلي) والده بدعوة نفسه ملك الكون.

لم تكن المناطق الشمالية فقط هي التي تأثرت بتوسع الآشوريين في بدايته، فلقد رأينا أن قتل أحد ملوك بابل وهو حفيد (آشور أباليت) قد أدى بالملك الآشوري للتدخل في شؤون وراثه العرش البابلي، ولقد استمر التوتر الناتج عن ذلك بعد موت آشور أباليت ويوصف خليفته أناليل ناراري الأول (١٣٢٩ - ١٣٢٠) من قبيل حفيدة بأنه الرجل الذي ذبح ملوك الكاسيت، وهذا يدل على بابل التي كانت منذ عام ١٦٠٠ تحت حكم الأسرة الكاسيتية من زاغروس، وتذكر إحدى التواريخ معركة آشورية بابلية في مكان على بعد عشرين ميلاً جنوب غرب أربيل،

وقد بدا كما أن ملك بابل قد غزا آشور في محاولة لتأكيد سيادته على آشور التي ادعى بها قبل نصف قرن خلال مراسلاته مع ملك مصر، ولكن أضيف وصف آخر منح لأنليل ناريري الأول وهو:

«الشخص الذي وسَّع الحدود والتخوم» وذلك يشير إلى محاولة قام بها لتوسيع أو على الأقل لدعم هذا التوسع تحت حكم آشور أباليت.

ولقد وسَّع الملك الآشوري التالي وهو (أريك دن ايلي) (١٣١٩ - ١٣٠٨)، وطبقاً لما ذكر ابنه، وسَّع الحدود الآشورية وتتفق إحدى التواريخ الآشورية ولكن بتفاصيل تُظهر أن أنشطة (أريك دن ايلي) العسكرية لم تكن مجرد توسع، بل حرباً للحصول على بقاء الوطن، ويذكر هذا التاريخ حادثة طرد الأعداء من منطقة تبعد بضعة أميال إلى الشمال من نينوي، وهذا يدل على أنه حتى وسط البلاد الآشورية كانت مهددةً من قبل غزاة من سفوح جبال طوروس، وقد تغلب (أريك دن ايلي) على هذه التهديدات واندفع شمالاً إلى طوروس الشرقية حيث سكن الشعب المنتشر بكثافة المدعو شعب (القرطيين) وبعد ذلك اندفع باتجاه شمال غربي للاستيلاء على سهل كادموخ وهو السهل الواقع غربي نهر دجلة والذي تحيط به هضبة (طور عابدين).